جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية

التوجيه البياني
للتعبير القرآني عند الدكتور فاضل صالح السامرائي

رسالة تقدم بها الطالب
سعد جمعة صالح الدليمي

الى مجلس كلية التربية – جامعة ديالى
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الدكتور مشحن حردان الدليمي

2 **رمضان** 1425**هـ** 5 **تشرين الاول** 2005**م**

الفصل الاول
التعبير القرآني على مستوى اللفظة

بلغ القرآن الكريم ذروة الفصاحة والبلاغة وكان معجزاً في شكله ومضمونه ومن أبرز دلائل إعجازه دقته العجيبة في إختيار الالفاظ ، فكل لفظ وضع في مكانه المناسب في بناء محكم متماسك بحيث لا يمكن ان يستبدل لفظ بآخر ، ولو حصل ذلك لاختل المعنى وتشوه البناء .

فالمفردة قد تكون متداولة فاذا قرأت القرآن الكريم وجدت لها طعماً آخر وتأثيراً فريداً لانعرفه في حدودها الطبيعية المتعارف عليها[1] .

فموضوع المفردة في القرآن الكريم واسع متشعب الاطراف متعدد المناحي[2] .

وندرس في هذا الفصل المفردة وموضوعاتها في القرآن الكريم والعوامل والعلل والاسباب التي جعلت المفردة بهذه الصورة بدل تلك محاولين تبيان الأوجه البلاغية التي عنيَّ بها الدكتور فاضل السامرائي مفصلين القول فيها مُبينينْ مقامها من توجيهات سابقيهِ إن وجدت ، وكان له السبق في تأليف كتاب يبحث (المفردة في القرآن الكريم) وتبويبها على الموضوعات ويجمع ما تشابه من ذلك ويدرسه فهو القائل : ((إني لم أجد في شأن المفردة في القرآن الكريم وتعليل استعمالاتها كتباً مختصة في حدود ما أطلعت عليه)) [3] . فأفرد لذلك المباحث وكشف القناع عن مباحث أخرى كالتعاور كما سنفصل القول فيه .

وهناك مادة علمية تدرس المفردة من الوجهة البلاغية مبثوثة في كتبهِ الاخرى كـ (التعبير القرآني ، ولمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، وعلى طريق التفسير البياني) سنحاول كشفها وبيان أوجه مجيئها بدل غيرها من الالفاظ .

من العلماء القدماء الذين أظهروا مزايا إختيار المفردة وقيمتها التعبيرية الجاحظ (ت 255هـ) الذي يقول : ((وقد يستخف الناس الفاظاً ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها ، ألا ترى إن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع الا في مواضع العقاب ،

---

[1] ينظر جماليات المفردة القرآنية في كتب الاعجاز والتفسير : 283 .

[2] بلاغة الكلمة : 5 .

[3] المصدر نفسه : 6 .

أو في مواضع الفقر المدقع والعجز الظاهر ؟ والناس لايذكرون السغب ويذكرون الجوع في حالة القدرة والسلامة وكذلك ذكر المطر ، لانك لاتجد القرآن يلفظ به الا في مواضع الانتقام والعامة واكثر الخاصة لايفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث . ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنه إذا ذكر الابصار ، لم يقل الاسماع ، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين ، الا تراه لايجمع الارض ارضين ، ولا السمع اسماعاً ، والجاري على افواه العامة غير ذلك ، لايتفقدون من الالفاظ ما هو احق بالذكر ، وأولى بالاستعمال)) [1] وكذلك الخطيب الاسكافي في كتابه درة التنزيل والزمخشري صاحب الكشاف ، وأبن الزبير في كتابه ملاك التأويل وغيرهم كثير لا مجال لذكرهم في هذا المقام .

وفي عصرنا الحديث كان من الذين تناولوا دراسة المفردة في القرآن سيد قطب في كتابهِ التصوير الفني في القرآن الكريم وعائشة عبد الرحمن في تفسيرها البياني .

إن صعوبة استبدال لفظة بأخرى في التعبير القرآني ، مبعثها الدقة المتناهية في الاختيار ، وهذه الخاصية تعم النص كله دون استثناء ، اذ لا نستطيع مهما جهدنا – أن نستبدل لفظة بأخرى – هذا هو سر من اسرار الإعجاز القرآني ويتجلى ذلك في كلام الذين حاولوا تقليد اسلوبه من المخدوعين فجاء كلامهم مفتقراً الى الدقة والجمال[2] .

هذا وترجع أسباب دراستهِ المفردة الى جملة أمور منها[3] :-

1. إن قسما مما بحثهُ في كتابه (بلاغة الكلمة) لم يجد المعنيين بدراسة التعبير القرآني قد أشاروا إليه .

2. هناك توجيهات ذكرها سابقوه تبدو لديه غير مقنعة ومتكلفة في اغلبها . هذا فضلاً عن السبب السابق الذكر وهو علة تأليف هذا الكتاب .

---

[1] البيان والتبيين : 40/1 .

[2] ينظر : مستويات النظم في التركيب القرآني : 59 .

[3] ينظر بلاغة الكلمة : 5-7 .

المبحث الأول
إيثار لفظ على لفظ آخر

وجه الدكتور السامرائي ألفاظ القرآن الكريم وأعطى أسباب وعلل تفضيل القرآن استخدام هذه الألفاظ بدل غيرها على الرغم من تقارب المعنى ، وتنوعت توجيهاته في هذا المبحث وهي الآتي :-

أولاً. توجيه جاء فيه التعبير بلفظ أُثر على لفظ آخر لمناسبة عموم المعنى

يأتي القرآن الكريم بأكثر الألفاظ ملاءمة للمعاني بحيث تكون دلالة اللفظ على المعنى دلالة تامة شاملة لا يعتريها أي شك ، من ذلك إيثار لفظ (الحمدُ) على لفظتي المدح والشكر ، في قوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ – الفاتحة:2﴾ .

لقد فصل القول في هذه المسألة الدكتور فاضل السامرائي من نقلِ لآراء العلماء ومتابعتهم ، فقد ذكر لنا ما أشار إليه الرازي : من أن المدح قد يحصل للحي ولغير الحي ألا ترى أن من رأى لؤلؤة في غاية الحسن أو ياقوتة في غاية الحسن فأنه قد يمدحها ويستحيل أن يحمدها ، والمدح قد يكون قبل الاحسان وقد يكون بعده أما الحمدُ فإنه لا يكون الا بعد الإحسان ، فإن الحمد يكون لما هو حاصلاً ولا يحمد من لم يفعل جميلاً . أما المدح فقد يكون قبل ذلك فقد تمدح انساناً ولم يفعل شيئاً من المحاسن والجميل ولذا كان المدح منهجياً عنه بخلاف الحمدُ فإنه مأمور به فقد قال ﷺ (أحثوا التراب في وجوه المادحين)[1] في حين قال (من لم يحمد الناس لم يحمدٌ الله) [2] . والحمدُ يعم ما إذا وصل ذلك . الانعام إليك أو الى غيرك وأما الشكر فهو مختص بالانعام الواصل إليك[3] .

وتابع أبا حيان والآلوسي أيضاً لكنه فصل أكثر فقال : ((معنى (الحمدُ) الثناء على الجميل من نعمة أو غيرها[4] مع المحبة والإجلال[5] ، فالحمدُ أن تذكر محاسن

---

[1] رواه مسلم : 498/5 .

[2] رواه الترمذي : 111/4 .

[3] ينظر التفسير الكبير : 219/218/1 . وينظر لمسات بيانية في نصوص التنزيل : 10 .

[4] البحر المحيط : 18/1 .

[5] روح المعاني : 70/1 .

الغير سواء كان ذلك الثناء على صفة من صفاته الذاتية كالعلم والصبر والرحمة والشجاعة أم على إعطائه وتفضله على الآخرين ولا يكون (الحمدُ) إلا للحي العاقلِ وهذا من أشهر ما فرق بينه وبين المدح ، فإنك قد تمدح جماداً وقد تمدح حيواناً ولكن لا تحمدهُ فقد تقول كلاماً في مدح الديك وفي مدح البقرة وفي مدح الكلب وفي مدح الذهب وفي مدح اللؤلؤ وغير ذلك ولكن لا تحمدهُ)) [1] .

وذكر لنا الدكتور فاضل السامرائي ما ذهب إليه صاحب لسان العرب في التفريق بين الحمد والشكر إذ يرى : ((أن الشكر لايكون إلا على النعمة ولا يكون على صفاتهِ الذاتية فإنك لا تشكر الشخص على علمه أو على قدرتهِ وقد تحمدهُ على ذاك ، والحمدُ والشكر متقاربان والحمدُ أعمهما لانك تحمد الانسان على صفاتهِ الذاتية وعلى عطائهِ ولا تشكره على صفاتهِ)) [2] فكان أختيار الحمد أولى أيضاً من الشكر لآنه أعم فإنك تثني عليه بنعمه الواصلة إليك والى الخلق أجمعين وتثني عليه بصفاتهِ الحسنى الذاتية وإن لم يتعلق شيء منها بك والى الخلق أجمعين وتثني عليه بصفاتهِ الحسنى الذاتية وإن لم يتعلق شيء منها بك فكان اختيار (الحمد) أولى من المدح والشكر [3] .

وجدنا توجيهات أخرى لسابقيهِ لم يطلع عليها الدكتور السامرائي منها قول الزمخشري : إنَّ الحمد والمدح اخوان ، والحمدُ أخص من الشكر مورداً واعم منه متعلقاً فمورد الحمد اللسان ومتعلقهُ النعمة ومورد الشكر اللسان والجنان والاركان ومتعلقهُ النعمة وقيل إن مورد الحمدُ كمورد الشكر لأن كل ثناء باللسان لايكون من صميم القلب مع موافقة الجوارح ليس بحمد بل سخرية وإستهزاء ... والحمدُ لايستلزم أن يكون مورداً له بل شرطاً[4] .

وتابع القرطبي الرازي في توجيهه اختيار كلمة الحمدُ[5] .

وفرّق الشوكاني بين الحمد والمدح إذ يرى أن الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري والمدح هو الثناء على الجميل وإن يكن الممدوح مختاراً[1] .

---

[1] لمسات بيانية في نصوص من التنزيل : 10 .

[2] لسان العرب مادة (حمد) .

[3] ينظر لمسات بيانية في نصوص من التنزيل : 11 .

[4] ينظر الكشاف : 20/1 .

[5] ينظر : الجامع لاحكام القرآن : 94/1 .

وهكذا رأينا أن هناك أكثر من سبب جعل أختيار (الحمد) أولى من لفظي (المدح والشكر) وأنسب من بقية ألفاظ التعبير (فالحمد) ثناء على المحمود على وجه الدوام غير زائل خاص بلفظ الجلالة غير مرتبط بزمن معين وهو مناسب لأسمائهِ الحسنى وصفاتهِ العلى ، وإن ما حكاه الزمخشري من جعل (الحمد والمدح) أخوين في الاستعمال فهو مردود بأقوال وتفصيلات العلماء السابقة ، ولو سلمنا له بقوله لأثبتنا وجود الترادف في القرآن الكريم وهذا مردود .

ومن ذلك أيضاً إيثار لفظ (الدين) على (القيامة) في قوله تعالى : ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ – الفاتحة 3﴾ .

ذكر لنا الدكتور فاضل السامرائي توجيهين في سبب (اختيار كلمة (الدين) بدل القيامة في سورة الفاتحة ، أحدهما أخذهُ : من الالوسي الذي جعل سبب ما إحتواه لفظ (الدين) من معانٍ أولى بالوضعِ في مكانه إذ يرى ان مردهُ ذلك لمراعاة الفاصلة وترجيحاً للعموم . فإن الدين بمعنى الجزاء يشمل جميع أحوال القيامة من ابتداء النشور الى السرمد الدائم بل يكاد يتناول النشأة الاولى بأسرها على أن يوم القيامة لايفهم منه الجزاء مثل يوم الدين الذي لهُ معانٍ شاع استعمالها فيها كالطاعة والتشريع فتذهب نفس السامع الى كل مذهب سائغ وقد قال كل من هذين المعنيين بعض . والمعنى حينئذ على تقدير مضاف فعلى الاولى يوم الجزاء الكائن للدين وعلى الثاني يوم الجزاء الثابت في الدين . وإذ أريد بالطاعة في الاول الانقياد المطلق لظهوره ذلك اليوم ظاهراً وباطناً وجعل (يوم) للدين في الثاني لما بينهما من الملابسة باعتبار الجزاء لم يحتج الى تقدير[2] .

والآخر خاص به وهو يشمل :–

المناسبة النظمية لكلمة (الدين) مع قوله (رب العالمين) لشمول العالمين على المكلفين ولابد ، وأنسب لأصناف المكلفين التي ذكرتهم السورة من منعم عليه ومغضوب عليهم وضالين لان معنى (الدين) الجزاء والحساب والطاعة والقهر وهذه كلها إنما تكون لهؤلاء فهو أنسب من يوم القيامة الذي لايفهم من معناه اللغوي ما يفهم

---

[1] ينظر فتح القدير : 19/1 .

[2] ينظر روح المعاني : 85/1 ، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل : 30–31 .

من يوم الدين ولشموله على أشياء لا تتعلق بالجزاء فيوم الدين أنسب من يوم القيامة من كل ناحية[1] .

والمعنى اللغوي الذي احتوت عليه كلمة (الدين) هو العادة والعبادة والمواظبة من الأمطار او اللين منها والطاعة فالدينة فيها والذلُ والداء والحساب والقهر والغلبة والاستعلاء والسلطان والمُلكُ والحكمُ والتوحيد[2] .

ومن الملاحظ ان الدكتور فاضل السامرائي قد وجه اختيار كلمة الدين من اتجاهين احدهما تابع بهِ الالوسي الذي قال ان معنى الدين من معنى القيامة فهو يشمل جميع احوال يوم القيامة من ابتداء النشور الى السرمد والاخر رأيهُ الخاص به الذي جعل المناسبة النظمية لكلمة (الدين) مع المكلفين المذكورين من الاصناف الذين أنعم عليهم وغيرهم ، هو السبب في إيثارها على غيرها من الكلمات .

ومن ذلك ايضاً اختيار لفظ (الصراط) دون (الطريق او السبيل) في قوله تعالى : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ – الفاتحة 5﴾

وجه الدكتور فاضل السامرائي تخصص (الصراط) في النص بناءً على ما يفيضهُ وزن الكلمة من معانٍ بقوله : ((وإختار كلمة (صراط) دون كلمة (طريق) أو (سبيل) له سببه ذلك أن (صراط) على وزن (فعال) وهو من الأوزان الدالة على الاشتمال كالرباط والشداد فيشمل كل السالكين ولا يضيق بهم فهو واسع رحب بخلاف كلمة (الطريق) فانها (فعيل) بمعنى مفعول من (طرق) بمعنى مطروق وهذا الابدال في صيغته على الاشتمال قد يضيق بالسالكين ولا يستوعبهم وكذلك كلمة (السبل) كانها (فعيل) بمعنى مفعول ، من اسبلت الطريق اذا سابلتها كالحكيم بمعنى المحكم والسابلة من الطريق المسلوكة يقال سبيل سابلة أي مسلوكة)) [3] .

هذا ووجه الكرماني التعبير من جانب تكرار (الصراط) في سورة الفاتحة[4] .

---

[1] ينظر : ينظر لمسات بيانية في نصوص التنزيل : 31 .

[2] ينظر : البحر المحيط : مادة (دين) .

[3] لمسات بيانية في نصوص من التزيل : 45 .

[4] ينظر : اسرار التكرار في القرآن : 20–21 .

وجاء في تفسير الصراط : ((هو الصراط المستقيم ، لأن من وفقَّ إليه ممن أنعم الله عليه من النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين فقد وفِقّ للإسلام وتصديق الرسل والتمسك بالكتاب ، والعمل بما أمره الله به والانزجار عما زجره عنه واتباعه منهاج النبي ﷺ ومنهاج الخلفاء الأربعة وكل عبد صالح وكل ذلك من الصراط المستقيم)) [1] .

وهكذا نرى أن الدكتور فاضل السامرائي وجه اختيار كلمة (الدين) بناءً على ما يفيده وزن هذه الكلمة من معنى الاشتمال الذي يدل على العموم وهذا لايحصل بغيره من الالفاظ . وترى أن هناك ترابطاً نظمياً في اختيار الفاظ الفاتحة من ناحية دلالتها على معنى العموم (فالحمدُ) عام ولفظ الجلالة لم يخصص وطلب الهداية بصيغة العموم والله اعلم بما أراد .

وقد يسأل سائل عن سبب إيرادنا الامثلة القرآنية في هذا النوع من التوجيه من سورة الفاتحة فقط نقول هو يرجع لعوامل عدة هي :-

1. إن هذه الامثلة كانت تطبيقاً لما ذكرناه في الفصل الاول من تنوع آراء الدكتور فاضل السامرائي فالمثال الاول : قد فصّل فيه القول وتابع العلماء . أما المثال الثاني ففصل وتابع واضاف واما الثالث : فقد تفرد بذكر رأيه لأن هذا التعبير لم يتناوله سابقه .

2. انه قد أولى عناية كبيرة لتوجيه تعابير سورة الفاتحة فكان من الضروري إبراز هذه العناية بإيراد أكبر عدد ممكن من أسرار الاعجاز فيها . فعدد الصفات التي وجه أم القرآن من خلالها (45 صفحة) [2] .

3. أن ما ذكرناه من أمثلة في هذا النوع من التوجيه تكاد تكون هي الوحيدة عندهُ .

ثانيا. <u>توجيه جاء فيه التعبير بلفظ أُثر على لفظ آخر لرفع التوهم وإزالة الإبهام</u>

---

[1] فتح القدير : 24/1 ، وينظر تفسير القرآن العظيم : 46/1 ، التحرير والتنوير : 190/1 .

[2] ينظر : لمسات بيانية في نصوص من التنزيل : 10-55 .

من ذلك إيثار لفظ الجلالة (الله) على بقية أسمائهِ وصفاتهِ الحسنى في قوله : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ – الفاتحة 1﴾ ولم يقل الحمدُ للخالق أو الرازق أو الحي أو غير ذلك من الأسماء والصفات .

ذكر لنا الدكتور فاضل السامرائي في توجيه هذه المسألة ثلاثة أقوال :-

الأول . تابع فيه الآلوسي بقوله : ثم انظر كيف جاء مع الحمد باسمهِ العَلَم فقال (الحمدُ لله) ولم يأت بوصف آخر بدله فلم يقل مثلاً (الحمد للخالق) أو الرازق أو الحي أو القادر ونحو ذلك من نعوت الله وصفاته ذلك انه لو جاء بأي وصف بدل لفظ الجلالة لأفهم ذلك ان الحمد إنما استحقهُ بهذا الوصف دون غيره . فلو قال (الحمد للعليم) لأفهم أن الحمد إنما استحقهُ بوصف العلم ولو قال (الحمد للقادر) لأفهم أن الحمد إنما استحقهُ بوصف القدرة وهكذا بقية أوصافهِ الحسنى فجاء بالذات ليدل على أن الحمد أنما استحقهُ لذاتهِ هو لا بوصف دون وصف فكان ذلك أولى وأفضل لمقام الذكر[1] .

الثاني . خاص به ، فذكر ان اسم (الله) مناسبة لقوله (إياك نعبد) فأن لفظ (الله) مناسب للعبودية لان هذا اللفظ على أشهر الاقوال مأخوذ من لفظ (الاله) أي المعبود و (اله) معناه (عبد) فكان لفظ الجلالة (الله) مناسباً للعبادة فقد اقترنت العبادة اكثر ما اقترنت بلفظ (الله) في القرآن الكريم فقد اقترنت به أكثر من خمسين مرة وذلك نحو قوله : ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ – الزمر 66﴾ وقوله : ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ – الرعد 36﴾ وقوله : ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ – الزمر 64﴾ وغير ذلك[2] .

الثالث . خاص به أيضاً انه لو جاء بوصف غير اسم العلم لم يفهم ان المقصود به (الله) صراحه فلو قلت (الحمد للحي) كان (الحي) مشتركاً بين الله وغيره وكذلك العليم والقادر والسميع ، بل حتى لو جئت بما لايصح وصف غير الله به فقلت مثلاً (الحمد

---

[1] ينظر روح المعاني : 1/76-77 ولمسات بيانية في نصوص من التنزيل : 19 .

[2] ينظر لمسات بيانية في نصوص من التنزيل : 19 .

للبارئ) أو القيوم او الفاطر السموات والارض أو غير ذلك لم يفهم أن المقصود به الله صراحة . فكان ذكر (الله) أولى من ذكر اسم آخر[1] .

نلاحظ أن الدكتور فاضل قد فصل القول في هذه المسألة وعرض لنا ثلاثة توجيهات ، الاول : تابع به الآلوسي الذي جعل من اختيار اسم الذات (الله) أولى من جميع أوصافه الحسنى وأسمائه العُلى حتى لايتوهم أحد أن الحمدُ خاص بأسم دون اسم ، والثاني والثالث : قد أضافهما إليه معتمداً على التحليل والتأويل وعلى ما تبديه الالفاظ من معانٍ مقصودة تؤدي المعنى على أتم وجه ، فكان اختيار لفظ الجلالة (الله) انسب الى العبودية المتمثلة بقوله (إياك نعبد) من ناحية ذكرها معاً اكثر من خمسين مرة في القرآن الكريم .

ثالثا. توجيه جاء فيه التعبير بلفظ أُثر على لفظ آخر لمناسبة جمالية .

من ذلك إيثار لفظ (وقب) على (دخل) في قوله تعالى : ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ – الفلق 3﴾ .

تفرد الدكتور فاضل بتوجيه هذا التعبير بقوله : ((إن اختيار لفظ الوقوب مع الفلق اولى من لفظ الدخول فهو أحسن استعارة واجمل تعبيراً ذلك أن الليل كأنه ينصب ظلامه ويجتمع في نقرة كما يجتمع الماء . فالعلم كالنقرة يصب فيها الليل ظلامه فلا يترك منها شيئاً والانصباب يكون عادة من فوق بخلاف الدخول فإنه لايشترط فيه ذلك ، والليل إنما يصب على الناس من فوق كما ينصب الماء في النقرة)) [2] .

واننا لم نجد أحداً من السابقين قد تنبه الى سر الإعجاز في اختيار الوقوب لكننا وقفنا على تفسير التعبير عند الالوسي اذ وجدناه أقرب الى التوجيه المذكور ، فقوله تعالى : ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ – الفلق 3 ﴾ فوقب بمعنى دخل الليل ... ، وقيل : التعبير إذا وقب أي إذا أدخل ظلامه كل شيء واصل الوقب النقرة والحفرة ثم استعمل في الدخول وقد فسرها بالمجيء ايضاً وتقييد اللفظ بهذا الوصف والوقت ، لأن

---

[1] ينظر لمسات بيانية في نصوص من التنزيل : 19 .

[2] على طريق التفسير البياني : 36/1 .

حدوث الشر فيه أكثر والتحرز منه أصعب وأعسر ، ففسر الغاسق بالليل والوقوب بالدخول[1] .

فهو كما قلنا قد تفرد بهذا التوجيه الدلالي للتعبير القرآني في هذه الآية ، مستفيداً مما أوردهُ الآلوسي من تفسير وتحليل للنص على الرغم من أنه لم يفرق بين الوقوب والدخول وكذلك معاملة اللفظ (وقب) على أنه استعارة ووجه الشبه بين المشبه والمشبه به في التعبير جعل لفظ (الوقب) وهو الانسب على كل حال .

رابعا. توجيه جاء فيه التعبير بلفظ أُثر على لفظ آخر لمناسبة المعنى .

من ذلك إيثار لفظ (أحد) على (واحد) في قوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ – الاخلاص 1﴾.

وجه الدكتور فاضل السامرائي التعبير في آية الإخلاص وفصل القول في المسألة ، وسبب الإيثار عنده يرجع الى جملة عوامل بعضها تابع فيها سابقيه والبقية خاصة به وهي الآتي :-

1. "إن كلمة (أحد) خاصة بمن يعقل ومن يصح خطابه على العموم ولا تستعمل لغير العاقل ، أما كلمة (واحد) فتستعمل للعاقل وغيره فنقول (كتاب واحد وقلم واحد) ؛ فإذا سألك سائل (هل رأيت أحداً في الدار ؟) فإن لم يكن فيها إنسان قلت : لا . وان كان فيها إنسان قلت : نعم . ولا يصح أن تقول (نعم) إن لم يكن فيها إلا دابة كالثور والبعير وعموم ما لايعقل . جاء في ملاك التأويل : ((وأما الفرق من جهة المعنى فإن واحداً يقع على كل مفرد بما هو كان ما يتصف بالعقل والعلم أولا يتصف ، تقول : رجل واحد وحجر واحد وجمل واحد وهكذا خلاف حكم (أحد) فإنه لايقع إلا لأولي العلم والعقل من الملائكة والإنس والجن)) [2] . فاستعمل هنا (أحداً) ولم يستعمل (واحداً) للدلالة على أنه (حي عالِم واحد) فجمعت كلمة (أحد) هذه المعاني كلها ، واستعمالها هنا أنسب من كلمة (واحد) ذلك أن بعدها (الله الصمد) أي المقصود في الحوائج ،

---

[1] ينظر : روح المعاني : 456/29 .

[2] ملاك التأويل : 1160/2 .

ولابد أن يكون المقصود في الحوائج عالماً بمن يقصده ، ثم بعدهُ (لم يلد ولم يولد) وهذه من خواص الأحياء ، فكلمة (أحد) أنسب ههنا من كل وجه[1]" .

2. "إن الواحد يدخل في الاحد والأحد لا يدخل في الواحد ، ذلك ان كلمة (أحد) يدخل فيها معنى الواحد فعندما تقول (الله أحد) دل على أنه واحد ودل على أمور أخرى مع الوحدانية كالحياة والعلم ، أما الأحد فلا يدخل في الواحد لأن كلمة (أحد) على واحد وعلى صفات أخرى معها فكان استعمال أحد أنسب ههنا[2]" .

3. انه اذا قال شخص (فلان لا يقاومه واحد) ، جاز أن يقال : لكنه يقاومه اثنان بخلاف الأحد لو قلت : (فلان لايقاومه أحد) لايجوز أن يقال : لكنه يقاومه اثنان[3] .

4. إن (أحد) صفة مشبهة على وزن (فَعَل) مثل بطل وحسن ، أما (واحد) فعلى زنة اسم الفاعل من (وحد) والصفة المشبهة أثبت من اسم الفاعل فأحد أثبت من واحد وأدوم ، فالواحد قد تزول وحدانيته إذ كان له نظير فتقول كنت واحداً فصرنا اثنين وكان واحداً فصاروا جمعاً ، وقد يبقى على وحدانيته إذا لم يكن له نظير ؛ أما (أحد) فهي تدل على الثبات والدوام ووحدانيته لا تتغير ولا تزول فجاء بالصيغة على دوام الأحدية وعدم تغييرها وهذا مناسب لقوله : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[4] . وقد جمع ربنا سبحانه لنفسه الوحدانية المطلقة على كل حال فسمى نفسه واحداً وأحداً كما سماها عالماً وعليماً وغافراً وغفوراً . فحالته على كل حالٍ هي الوحدانية وهي لاتزول على أي حال من الاحوال . قال تعالى : ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ – يوسف 39﴾ وقال : ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ – غافر 16﴾ غير انه يختار الواحد في مقام والأحد في مقام آخر وكل هو مناسب لموضعه[5] .

5. إن كلمة (أحد) الواقعة في الاثبات خاصة بالله تعالى وهي تفيد الوحدانية في الذات والصفات فهو متفرد في ذاته متفرد في صفاتهِ لايشاركهُ فيها غيره اما الواحد فهي خاصة بالذات ، جاء في (البحر المحيط) : ((وأحد بمعنى واحد أي فرد من جميع

---

[1] على طريق التفسير البياني : 61 .

[2] المصدر نفسه : 62 .

[3] ينظر فتح القدير : 502/5 ، وعلى طريق التفسير البياني : 62/1 .

[4] الإخلاص : 4 .

[5] ينظر : على طريق التفسير البياني : 62/1 .

جهات الوحدانية أي في ذاته وصفاته لايتجرأ ، وهمزة أحد بدل من واو))[1] ؛ وجاء في تفسير البيضاوي : ((أحد : يدل على مجامع صفات الجلالة كما دل (الله) على جميع صفات الكمال)) [2] فهي تدل على الوحدانية في الذات والتنزيه في الصفات فصفاته صفات كحال لايشركه فيها أحد ، فأثبتت له كلمة (أحد) الوحدانية في الذات والصفات ونفت عنه الشرك في الذات والصفات ، وهي هنا أنسب من كلمة (واحد) لأن المقام مقام توحيد وتنزيه لله . فأتضح أن كلمة (أحد) لها دلالتان : أنه واحد وهي تفيد التوحيد . وإنه لانظير له في صفاته وهي تفيد التنزيه[3] .

6. إن كلمة (أحد) أقدم من كلمة (واحد) في الاستعمال واسبق وجوداً منها في اللغات السامية كما تدل الابحاث الحديثة وقد كانت تستعمل بمعنى الواحد وقد استعملت بمعنى الأول أيضاً في بعض اللغات . جاء في (التطور النحوي) : ((فأحد سامية الاصل وواحد مشتقة منها)) [4] . ويقال للواحد المذكر في العربيات الجنوبية (أحد) وللمؤنث (أحدت) [5] وفي الحيانية (أحد) للواحد والمذكر و (إحدى) للواحدة[6] وفي لغة لغة النبط (حد) بمعنى (أحد وبمعنى الأول والواحد) [7] فلفظة (أحد) أقدم من لفظة (واحد) فاستعملها للدلالة على أن الله قديم لم يلد ولم يولد وليس قبله شيء مناسب بين قدم اللفظة والمقام)) [8] .

يبدو لي أن القضية تتعلق بالمعنى فضلاً عن تعلقها بالالفاظ ، فـ (أحد) جمعت بين معنى الوحدانية وتفرده سبحانه بصفاته العلى وتدل على ذلك أمور فصل القول عندها الدكتور فاضل السامرائي منها : انه مناسب لذكر (الصمد) المصمود اليه في

---

[1] البحر المحيط : 528/8 ، وعلى طريق التفسير البياني : 62/1 .
[2] انوار التنزيل : 8/4 ، وعلى طريق التفسير البياني : 62/1 .
[3] على طريق التفسير البياني : 62/1-63 .
[4] التطور النحوي : 79 .
[5] تاريخ العرب قبل الاسلام : 115/7 .
[6] المصدر نفسه : 169/7 .
[7] المصدر نفسه : 365/7 .
[8] على طريق التفسير البياني : 63/1 .

الحوائج ومناسب لذكر (لم يلد ولم يولد) من جهة وحدانيته المطلقة غير المقيدة بزمن معين . وإن كلمة (أحد) أقدم من (واحد) ولا ترادف بين اللفظين .

خامساً. توجيه جاء فيه التعبير بلفظ أُثر على لفظ آخر للاختصاص

من ذلك اختيار (أعطيناكَ) دون (آتيناك) في قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ – الكوثر 1﴾ .

يقول الدكتور فاضل السامرائي : ((لقد قال (أعطيناك) دون (آتيناك) ذلك ان ربنا أراد أن يملك نبيه الكوثر فقال ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ولو قال (آتيناك) لأحتمل أن يفهم أن ذلك إيتاء آية لا إيتاء تمليك كما قال تعالى : ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً – الاسراء 59﴾ وقال : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي – الحجر 87﴾ وقال : ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ – مريم 30﴾ والتمليك – كما هو معلوم – يفيد التخصيص أي أنه ملك مختص بصاحبه يتصرف فيه كما يشاء بخلاف الإيتاء فإنه في الغالب لايفيد الاختصاص ، ويفيد أنه لا يشمل النزع بخلاف الإيتاء فإنه قد يشمله النزع كما قال تعالى : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا – الأعراف 175﴾ وكما قال في قارون : ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنْ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ – القصص 76﴾ ثم نزعها منه وخسف به وبداره الأرض ، فالإعطاء ههنا أدل على التكريم من الإيتاء)) [1] .

وإستعان الدكتور السامرائي بالبناء الصوتي لايجاد فرقٍ بين اللفظين يبين سبب إيثار أحدهما على الآخر في النص وذلك بقوله : ((فإنه لما كانت الهمزة أقوى من العين استعمل الفعل (آتى) لما هو أقوى وأوسع كإيتاء المال والملك والحكمة والآيات الدالة على صدق الانبياء وغير ذلك ، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً – النساء 54﴾ وقوله : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ – الاسراء 101﴾ . ولما كانت التاء حرفاً مهموساً وهو يسمع مجهوراً وخفياً استعمل لما هو ظاهر ولما هو خفي ، فمن الظاهر إيتاء المال كقوله تعالى : ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى – البقرة 177﴾ ومن الخفي إيتاء الحكمة والرشد والرحمة قال تعالى : ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ

[1] على طريق التفسير البياني : 79/1 .

عِنْدِنَا – الكهف 65﴾ وانه لما كان الطاء حرفاً مجهوراً اعلى وأظهر من التاء استعمل الفعل لما هو ظاهر ويكاد أن يكون مختصاً بالأموال . ويمكن ان نقول أيضاً : إن الفعل (أعطى) أظهر في النطق من (آتى) فكان استعماله في الأمور الظاهرة أكثر واظهر ، فكان بناء الكلمة الصوتي موافقاً للمعنى الذي استعملت له إلى حد كبير))[1] .

وافاد الدكتور السامرائي من تفريق الرازي بين اللفظين حيث يقول : ((إنّ الاعطاء يوجب التمليك دون الايتاء)) [2] .

وذهب الالوسي الى توجيه التعبير بقوله : ((وفي اسناد الاعطاء إليه دون الايتاء اشارة الى أن ذلك إيتاء على جهة التمليك فإن الإعطاء دونه كثير ما يستعمل في ذلك ومنه قوله تعالى لسليمان عليه السلام : ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾[3] بعد قوله : ﴿وَهَبْ لِي مُلْكاً﴾[4] ... الإيتاء لا يستعمل الا في الشيء العظيم كقوله تعالى : ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْك﴾[5] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً﴾[6] . والاعطاء يستعمل في القليل والكثير كما قال تعالى : ﴿وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى﴾[7][8] .

تتجلى بوضوح مقدرة الدكتور السامرائي في هذا المثال إذ جمع لنا شتات اقوال متفرقة في الزمان والمكان لدى العلماء وراح يحللها ويفسرها حتى إكتملت عندهُ صورة تقريبية لاسباب ايثار اللفظة اعطى على آتى ، ويبدو لنا أن هناك توجيهاً اخر للتعبير وهو مناسبة الفعل أعطى الذي يدل على التمليك والاختصاص لـ (الكوثر) من ناحية كون الكوثر أمراً غيبياً أخروياً فاحتاج هذا الأمر الى أقوى الأفعال ابانة وأوضح حتى

---

[1] على طريق التفسير البياني : 1/77-78 .

[2] التفسير الكبير : 32/123 وينظر على طريق التفسير البياني : 1/79 .

[3] ص : 39 .

[4] ص : 38 .

[5] البقرة : 251 .

[6] سبأ : 10 .

[7] النجم : 34 .

[8] روح المعاني : 3/246 .

لايكون هنالك أدنى شك من كونه حوضاً أعطاه الله للنبي ﷺ تكريماً له في الدار الآخرة على الرغم من دلالة اللفظ (الكوثر) على معانٍ أخر .

ABSTRUCT

1. Ph. D. prof. Fadel Al-Sammurai the Iraqi scholar in expression Quran and grammar. And that appeared in his studies.
2. Dr. Fadel Al-Sammurai expanded in his studies in modern material.
3. Many of writers said that Dr. Fadel Al-Sammurai return his written the same material but the write that only the main tittle similar but the contents deferent.
4. Dr. Fadel Al-Sammurai concentrate upon the level speech in Quran expression.
5. The talking about Quran expression from Dr. Fadel Al-Sammurai emphasis the linguistics sides for Quran text; there for it's became better in it's information and more satisfy for the reader.
6. Study each expression in the Quran reach us to the right picture which is Quran god put it, so we can know some of that secrts which are surprise the nitive speaker in that time (Arbian).
7. Dr. Fadel Al-Sammurai interests with high objectivity and right believe in his translate and transferee.
8. Dr. Fadel Al-Sammurai has great draw in his brain, he make the (Clearness) one of the styles which used in Quran when he talk about medicine, sky and all the humanity science.
9. Dr. Fadel Al-Sammurai clears that each word in Quran putting with fine picture and there is no way to sustitnte this word with another.
10. Dr. Fadel Al-Sammurai in his books shows more of Qurans secrets which are didn't discover ago.
11. He is found new items in his books.
12. He makes from the context and the meaning importance point in Quran expression.